محاولة الأمير عبدالرحمن بن فيصل آل سعود استرداد الأحساء من العثمانيين

١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م

أ. د. عبدالله بن ناصر السبيعي
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

كان التسليم ببقاء العثمانيين يحكمون الأحساء إثر حملتهم العسكرية عليها عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، بعد استغلالهم استنجاد الإمام عبدالله بن فيصل بهم بسبب نزاعه مع أخيه سعود على الحكم بعد وفاة والدهما الإمام فيصل بن تركي، أمرًا غير وارد في حسابات آل سعود. غير أن المفاجأة أن يكون المباغت لهم هو عبدالرحمن بن فيصل الموجود في بغداد منذ ٢٤شعبان ١٢٨٩هـ/ ١٨ أكتوبر ١٨٧٢م عندما قدم إليها ومعه فهد بن صنيتان آل سعود[١] وفرحان بن

(قدم للنشر في ١٤٣٣/٢/٧هـ، وقبل للنشر في ١٤٣٣/٥/٢٤هـ).

(١) هو فهد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن سعود. وكان والده عبدالله يلقب بصنيتان، وجده إبراهيم هو أخو الإمام تركي بن عبدالله. وقد كان لفهد بن صنيتان دور بارز في الأحداث التي نجمت بعد الاختلاف بين عبدالله بن فيصل وأخيه سعود بن فيصل إذ انحاز إلى جانب سعود بن فيصل، ومثله في المفاوضات الأولية مع =

خيرالله[٢]، ممثلاً لأخيه سعود بن فيصل عندما قبل العثمانيون بمبدأ التفاوض معه حول إمكانية انسحابهم من المنطقة وتسليمهم حكمها له عبر وساطة الحاج أحمد بن محمد خان[٣]. غير أن إخفاق تلك المفاوضات بسبب تعنت

= العثمانيين في الأحساء في أثناء وساطة الحاج أحمد خان الذي وصفه بدماثة الأخلاق وحصافة الدبلوماسي. وكان صديقًا حميمًا لعبدالرحمن بن فيصل ويدل على ذلك التماسه من العثمانيين السماح له بالالتحاق بعبدالرحمن بن فيصل في بغداد بعد أن سمع باحتجازه فيها رغبة منه في محاولة الإفراج عنه، لكنه احتجز معه - كما ذكرناه في موضعه - وشاركه في محاولته الجسورة لاسترداد الأحساء في عام ١٢٩١هـ، ثم رافقه إلى الرياض. وقد اغتيل في مسجد الشيخ عبدالله في الرياض في أثناء تأدية صلاة الجمعة. ولم يعقب فهد بن صنيتان ذرية. ولتفاصيل مقتل فهد بن صنيتان وأسبابه راجع التقرير المسهب عن ذلك في:

(IOR) From Lieut. Colonel E.C Ross to the Government of India, Foreign department, Simla, no. 983/235, September 17, 1875.

(٢) فرحان بن خير الله: كان أمير الأحساء من قبل سعود بن فيصل حين وصول الحملة العثمانية إلى الأحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. وقد استسلم للعثمانيين وبعد عودته من بغداد غادر الأحساء إلى البحرين ولا يزال له ذرية في الأحساء.

(٣) كان الحاج أحمد بن محمد خان أحد وزراء مسقط عندما ذهب سعود بن فيصل إلى نواحي عمان إثر خلافه مع أخيه الإمام عبدالله بن فيصل. وهناك تعرف عليه ونشأت صداقة بين الاثنين. ثم انتقل الحاج أحمد ليعين حاكمًا على بندر عباس فترة من الوقت، ثم انتقل ليقيم في بوشهر. ولما كان على دراية بأوضاع المنطقة وعلى علاقات جيدة مع القوى المسيطرة عليها فاتحه سعود بن فيصل للقيام بمحاولة وساطة بينه وبين العثمانيين عندما سمع بالصعوبات التي تواجههم في السيطرة على الأحساء والقطيف. قبل الحاج أحمد خان القيام بالمهمة واتصل بالعثمانيين فرحبوا به ودعاه والي بغداد =

العثمانيين في شروطهم ومعارضة سعود بن فيصل الصارمة لها ورفض الإمام عبدالله بن فيصل القبول بحكم العثمانيين للمنطقة وأن يكون بمثابة تابع لهم، مما جعل العثمانيين يحسمون أمرهم ويوقفون المفاوضات ويضعون الأمير عبدالرحمن وفهد بن صنيتان تحت الإقامة الجبرية في بغداد مع السماح لفرحان بن خيرالله بالعودة في ١ ذوالقعدة ١٢٨٩هـ/ ١٦ يناير ١٨٧٣م[٤]. ويبدو أن سبب احتجازهما كان للضغط على سعود بن فيصل للقبول بالشروط العثمانية.

خبر عبدالرحمن بن فيصل في أثناء إقامته في بغداد أحوال الدولة العثمانية وإمكانياتها، وتاق للعودة إلى وطنه وقد خالجه أمل تاق إلى تحقيقه في محاولة مفاجأة العثمانيين بهجوم مباغت يستخلص الأحساء من قبضتهم. لاح له الأمل بصدور أمر سلطاني برفع قيود الإقامة الجبرية عنه وعن مرافقه فهد بن صنيتان في ٢ صفر ١٢٩١هـ/ ٢٢ مارس ١٨٧٤م وتخييره بين منحه راتبًا شهريًا وإيجار منزل لهما في بغداد إن أراد الإقامة بها أو السماح لهما

= لزيارته، كما استطلع الحاج أحمد موقف المقيم البريطاني في الخليج الذي لم يمانع في قيامه بالمهمة. جاء الحاج أحمد إلى الأحساء في ٢٦ جمادى الأولى ١٢٨٩هـ/ ٢٨ يوليو١٨٧٢م. وبعد أن طالت مدة اقامته فيها دون نتيجة اقترح بعد موافقة العثمانيين أن يصحب معه الأمير عبدالرحمن بن فيصل إلى بغداد لعله يتوصل مع الوالي هناك إلى اتفاق. لكن الأمر انتهى إلى فرض الإقامة الجبرية على الأمير عبدالرحمن هناك.

(٤) الأرشيف العثماني، دفتر العينيات، رقم ٨٤٩، ص١٤٤، مذكرة برقم ٢١٢٧ وتاريخ ١٨ شوال ١٢٩٠هـ من الصدر الأعظم إلى والي بغداد.

بمغادرتها[٥]. وكانت مبررات السماح لهما هدوء الأحوال واستتباب الأمن في الأحساء والقطيف. وقد ورد في الأمر إشارة توحي بأن السماح صدر بسبب ذلك رغم عدم استكمال مدة الاحتجاز لهما في بغداد مما يوحي بأنه قد حددت فترة محددة للإقامة الجبرية لعبدالرحمن بن فيصل في بغداد[٦]. ويذكر لوريمر أن سعود بن فيصل طلب وساطة المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي للتدخل في الإفراج عن عبدالرحمن بن فيصل وفهد بن صنيتان وقد أبلغ المقيم البريطاني ذلك للقنصل البريطاني في بغداد ولسفير بلاده في الآستانة، ويعتقد أنه كان لمساعيهما أثر في إطلاق سراحهما[٧]. وقوَّى هذه المزاعم رسالة بعث بها عبدالرحمن بن فيصل من البحرين إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج في ١٨ رجب ١٢٩١هـ/٣ سبتمبر١٨٧٤م، ذكر فيها أنه كان ينوي عند مغادرته بغداد التوجه إلى البصرة ومنها يلحق بقارب بخاري يتجه إلى بوشهر لمقابلة المقيم السياسي البريطاني وتسليمه رسالة موجهة إليه من القنصل البريطاني في بغداد، إلا أنه لم يتمكن بسبب مغادرة ذلك القارب قبل وصوله، مما أخر إرسالها إليه، ولذا يرسلها برفق رسالته هذه، طالبًا من المقيم ألا يحرمه من تبادل الأخبار بينهما.

(٥) الأرشيف العثماني، دفتر العينيات، مذكرة من الصدر الأعظم برقم ٤٧ وتاريخ ٢ صفر ١٢٩١هـ.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) لوريمر، **دليل الخليج**، ترجمة قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، القسم التاريخي، ج٣، ص١٦٨٦.

وقد رد عليها المقيم السياسي البريطاني في ٢٥ رجب ١٢٩١هـ/ ٧ سبتمبر ١٨٧٤م، معبرًا عن سعادته بالاطمئنان على صحته وسلامته وتطلعه لسماع أخباره[٨]. ولا تدل هذه الاتصالات على علاقة خاصة بين الأمير عبدالرحمن بن فيصل والإنجليز أو مساندة لتطلعاته في مباغتة العثمانيين في الأحساء، وإن كان الإنجليز يراقبون باستمرار تهديدات العثمانيين لوجودهم في البحرين.

وصل عبدالرحمن بن فيصل إلى البحرين في شهر رجب ١٢٩١هـ/ أغسطس ١٨٧٤م، وأقام بها شهرين تحسس خلالها أمور الإدارة العثمانية من خلال اتصاله برجال قبائل المنطقة وسكان المدن فوجد أخبارًا مشجعة واحتمالات لأماني يمكن تحقيقها، فقد وجد أن الأمور في الأحساء لم تعد كما عهدها قبل مغادرتها إلى بغداد، فقد علم أن العثمانيين قد غيروا من سياستهم في إدارة الأحساء والقطيف منذ ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بعد أن استنزفت النفقات الباهظة خزينتهم واستمرت شكوى جندهم من سوء أحوالهم الصحية فزاد ذلك موقفهم حرجًا. وتمثل ذلك التغير بتبنيهم إستراتيجية إدارية جديدة تعهد بموجبها بإدارة المنطقة إلى إحدى الشخصيات العربية البارزة والمقربة من الدولة العثمانية وذات دراية بشؤون المنطقة وممن أسهموا بجهود كبيرة في عملية الاستيلاء على الأحساء والقطيف. وكانت

(8) (IOR) From Lieut. Colonel E. C. Ross to the Government of India, Political Department, Bombay, No. 1060/136, September 18, 1874.

تلك الشخصية هي ناصر باشا السعدون متصرف البصرة وأحد شيوخ المنتفق البارزين. وقد لبى المذكور تلك الرغبة وشخص إلى الأحساء وسحب أربع كتائب عسكرية عثمانية من الجنود النظامية، ولم يبق إلا على كتيبة واحدة من رجال الشرطة [الضابطة]. كان معظم أفرادها من العناصر المحلية أنيطت بهم مهمة حفظ الأمن في اللواء، ونصّب أخا زوجته بزيغ بن محمد آل عريعر الخالدي متصرفًا للأحساء(٩). وقد دل تطبيق الدولة العثمانية لهذا الأسلوب الإداري والأمني على تبنيها لفلسفة حكم جديد تتمثل في "حماية الدولة لأتباعها عن طريق أتباعها" دون الاعتماد على قواتها النظامية التي يتطلب وجودها نفقات مالية باهظة، والاعتماد على حكام محليين تثق بولائهم لحكم المنطقة، وهذا ما تحقق عندما عهدت بمنصب متصرف لواء الأحساء إلى بزيغ بن محمد آل عريعر الخالدي معتمدة على ولائه وقوة قبيلته ومحاولة الارتكاز على عناصر محلية في توفير الأمن الداخلي. غير أن التجربة فشلت في أن تؤدي النتائج المأمولة حيث تكالبت عناصر متعددة على إجهاضها منها ضعف شخصية بزيغ الخالدي، واندلاع خلاف بينه وبين الزعامات المحلية مما قاد إلى تشجيع القبائل المحلية إلى أن تتمرد على السلطة العثمانية المحلية. نقل ذلك إلى عبدالرحمن بن فيصل، خاصة أن بزيغ الخالدي غارق في مشاكل مع القبائل

(٩) عين بزيغ بن محمد بن عريعر الخالدي متصرفًا للواء الأحساء في الفترة ما بين ٨ محرم ١٢٩١- ذي القعدة ١٢٩١هـ (١٨٧٤-١٨٧٥م).

البدوية وعلى نفور من الحاضرة، وأن حاميته لا تسعفه عددًا وعدة. وكان مما عمله مع بعض مشايخ القبائل وأعيان الأحساء ما ذكره محاسب اللواء محمد جاويد في رسالة بعثها للصدر الأعظم في ٢٥ رجب ١٢٩١هـ/ ٩ سبتمبر ١٨٧٤م قائلاً[١٠]: "ذهب عدة أشخاص من مشايخ العجمان وآل مرة وهم منصور بن منيخر وحزام وابنه راكان والمرضف شيخ آل مرة ومحمد بن خميس المبرزي إلى البحرين وعند عودتهم ومعهم أشياء أحضروها بموجب وثائق مخصوصة [وثائق رسمية] كتب بزيغ باشا إلى الحاج خورشيد مأمور ميناء العقير خطابًا يأمره بأخذ خيول المذكورين عند وصولهم من البحرين في طريقهم إلى الهفوف وترك ذخيرتهم معهم، إلا أن منصور بن منيخر أصر على أخذ فرسه قسرًا، فحدث اضطراب نتج عنه قطع رأس فرس منصور نصفين".

ويواصل محاسب اللواء وصف صلف بزيغ باشا وسوء معاملته لأهالي اللواء قائلاً: "كما أن من أصحاب المحلات التجارية في النعاثل والرفعة يستوقفون ويحبسون وتؤخذ منهم نقود لتخلية سبيلهم بدون علم مجلس الإدارة ومجلس

(١٠) الأرشيف العثماني، شورى الدولة، رقم ٤٠/٢١٤٩ من محاسب لواء الأحساء محمد جاويد إلى الصدر الأعظم. وهذه الوثائق المهمة عبارة عن مجموعتين من الرسائل تضم عدة صفحات من الحجم الكبير بعث بهما المحاسب المذكور إلى الصدر الأعظم في تاريخين هما على التوالي ٨ ذو القعدة ١٢٩١هـ، و٢٥ رجب ١٢٩٢هـ. وسيشار إليهما اختصارًا فيما بعد بمسمى (رسائل جاويد).

التمييز"[١١]. وكانت النتيجة لمجمل تلك التصرفات حسب ما شاهده المحاسب المذكور هو حدوث فتنة وغليان بين سكان تلك المناطق أدت إلى الفساد والفوضى، وكانت سببًا في التمرد على الدولة العلية[١٢].

بدأ عبدالرحمن بن فيصل على الفور الاتصال عن طريق رسائل بعثها مع من يثق بهم إلى شيوخ قبيلتي العجمان وآل

(١١) المصدر نفسه. كان نظام إدارة الألوية التي أقرتها الدولة العثمانية يشترط تشكيل مجلس إدارة في كل لواء يتكون من ثمانية أعضاء، منهم المتصرف رئيسًا وقاضي اللواء ومحاسب اللواء ومدير التحريرات بصفتهم الرسمية، بجانب أربعة أعضاء غير دائمين ينتخبون فيما يشبه التعيين من الأهالي. وكان على المجلس أن يجتمع بصفة دورية لاستعراض أهم شئون اللواء. وكانت مشاركة المنتخبين من الأهالي لا تعدو كونها مجرد مشاركة رمزية. إذ إنها حصرت في الوجهاء والمتنفذين والأغنياء. أما مجلس التمييز فوفقًا للنظام العثماني أسس العثمانيون في الأحساء مجلسًا للتمييز في مدينة الهفوف مركز اللواء برئاسة القاضي العثماني، وجرت العادة أن ينتخب أربعة أعضاء من أعيان البلاد لعضوية المجلس لمدة أربعة أعوام قابلة للتجديد لنصفهم كل عامين. ورغم كون المنتخبين من المشهود لهم بالعلم والاستقامة والبروز الاجتماعي، إلا أنه لم يدخل في عضوية المجلس طيلة فترة الحكم العثماني للمنطقة أحد ممن اشتهر بالإفتاء ويقصده الأهالي للقضاء الشرعي، ويبدو أن سبب ذلك كونهم لا يجيدون اللغة العثمانية وليس لهم علم بالقانون العثماني وأصوله. للمزيد عن طبيعة المجلسين وأسماء أعضائهما انظر: عبدالله بن ناصر السبيعي، **الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني: ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م (دراسة وثائقية)**، الرياض، مطابع الجمعة، ١٤٢٠هـ، ص٢٣٥-٢٤٢. وعبدالله بن ناصر السبيعي، **القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني: ١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م (دراسة وثائقية)**، الرياض، مطابع الجمعة، ١٤٢٠هـ، ص٦١-٦٢.

(١٢) المصدر نفسه.

مـرة يسـألهم عـن تأييـدهم لو حـاول تخليص الأحـسـاء من العثـمـانيين، فـجـاء ردهم مشـجـعًـا. كـمـا كـاتب أهـل الأحـسـاء فـأجـابه أهل النعـاثل والـرفـعـة وقـرية الـطرف بالتـأييـد، حيث وعـده سكان النعـاثل بفتح أبواب الأسـوار المحيطة بالمدينة في حـالـة قـدومـه إلـيـهم، أمـا أهل الكوت فلم يردوا عليـه وذلك عـائد إلى وجود الإدارة العثـمـانية وحـاميتها العسكرية بينهم. فـاكتفى بتـرتيب الأمـر مع أهل النعـاثل وواعدهم وقتًـا محـددًا فوعـدوه بالتـرحيب والعـون. وقد وصل إلى مسـامع العثـمـانيين نشـاط عبـدالرحمـن بن فيـصل منذ وصـوله البحـرين ونما إلى علمـهم تردد رسله إلى شـيـوخ الـقـبـائل وأعـيـان الأحـسـاء وردودهم عليه بالتـأييد. فأوعـزوا إلى قائم مقام القطيف بأن يسـارع إلى تحـذير شيخ البحـرين من التورط في تهيئـة المناخ لنشـاط عبـدالرحمـن بن فيـصل أو دعـمه. فكتب القائم مقـام إلى شـيـخ البـحـرين عيـسى بن علي الخليـفـة في ٨ رمضـان ١٢٩١هـ/ ٢٠ أكـتـوبر ١٨٧٤م رسـالـة قـاسـيـة جـاء فـيـهـا[١٣]:

"وصلتني معلومـات تفيد أن عبدالرحمن بن فيصل وفهد بن صنيـتـان يقـيـمـان الآن في البـحـرين وأن أفكارهمـا الشـريرة تدفعهما إلى إثارة القلاقل ضد الحكومـة العثمانية وأن سلوكهما ينـزع إلى العصيان والتمرد وأنك تسـاعدهمـا فيما يقومان به من تهيئة وذلك بحشد (٤٠٠ - ٥٠٠) رجل من العصاة... وبناء

(13) (IOR) Political Department(1874). no.1590 ، Release of Abdul Rahman Bin Faisal by the Turkish Authorities, No. 1053/217, September 29, 1874. Are henceforth referred to as Abdul Rahman Papers.

على ذلك فليكن معلومًا لديك أنه إذا ثبت لنا أنك تساعدهما، أو تقوم بتجهيزٍ أي قوارب، أو تقدم أي نوع من العون لهما مهما كان بسيطًا لتنفيذ مخططاتهما فلا شك أن الحكومة العثمانية ستتخذ حيالك ما تراه مناسبًا من إجراءات جزاءً لأي أحداث تقع، ولذا وجدت ضرورة تحذيرك كتابة، وأن أبعث برسالتي إليك مع حسن أفندي، وهو ضابط في قوات الدولة.. ويتعين عليك فور تسلمك رسالتي أن تخبرنا ما إذا كنت راغبًا في الدخول في حرب مع الدولة العثمانية أم لا. وقد أصدرت تعليماتي للضابط المذكور بعدم البقاء طرفكم أكثر من يوم واحد لتلقي ردكم فيما يتعلق بالقرار الذي تنوون الإقدام عليه".

انزعج شيخ البحرين من الرسالة وأسلوبها وقرر عدم الرد عليها حيث أخبر حسن أفندي بأنه سلّم هذه الرسالة إلى ممثل بريطانيا في البحرين، غير أنه أكد للمندوب العثماني أنه لم يقدم أي مساعدات كانت، وكل ما قام به هو ما تفرضه العادات العربية من إكرام الضيف والاحتفاء به[١٤]. وكان عبدالرحمن بن فيصل قد غادر البحرين مع من التحق به قبل تسلم شيخ البحرين تلك الرسالة بثلاثة أيام. وقد أقلقت تحركات عبدالرحمن بن فيصل والموقف العثماني نائب ملك إنجلترا والحاكم العام في الهند فسارع إلى تأكيد حرصه على أن يبادر المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بزيارة البحرين، وأن ينصح شيخها ببعث رسالة ودية

(14) Ibid.

انظر أيضًا:

(IOR) L/P & S/20/241. Prescis of Najd Affairs. (PNA) P.46.

إلى قائم مقام القطيف، وأن يلتزم بالامتناع عن أي تدخل قد ينتج عنه تعقيدات أو مشاكل في عمق الجزيرة العربية[١٥]. وقد زار المقيم السياسي البريطاني البحرين في ١٣ شوال ١٢٩١هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٧٤م، وحرص في أثناء زيارته تلك أن يحصل على معلومات مؤكدة عن كيفية جمع عبدالرحمن بن فيصل أتباعه، وهل قدم بهم من بغداد أو جمعهم في البحرين، وكم عددهم وما نوع أسلحتهم[١٦]. وقد سارعت الإدارة البريطانية في الخليج العربي إلى إشعار دائرة البحرية بأن تبقي قاربين مسلحين من قوارب البحرية الملكية البريطانية في بوشهر تحسبًا لأي تطورات خاصة وقد ترددت شائعات، مفادها أن والي بغداد قد عرض على حكومته تسيير حملة ضد البحرين، زاعمًا أن هجوم عبدالرحمن بن فيصل كان بدافع من الإنجليز، إلا أن الشائعات أشارت إلى أن السلطات العثمانية العليا لم تأخذ برأي بغداد[١٧]. ومن تلك الشائعات ما ذكر أن قدوم ناصر بن مبارك الخليفة[١٨]

(15) Ibid.

(16) Ibid.

وانظر أيضًا:

(IOR) From Lieut. Colonel E. C. Ross to the Government of India, Political Department Calcutta, No. 934/119, August, 1874. (IOR) From the Secretary to Government of India, H. B. M`s Political Resident, No. 2549P, November 1874.

(17) Ibid.

(١٨) ناصر بن مبارك بن عبدالله الخليفة: كان منشقًا عن الفرع الحاكم من آل خليفة وقد وثق علاقته بالعثمانيين تطلعًا منه للإطاحة بالشيخ عيسى بن علي آل خليفة وتعيينه مكانه. وكان حينها مقيمًا في =

من قطر إلى القطيف ومعه (٢٥) رجلاً من بني هاجر إنما كان من أجل القيام بهجوم على البحرين وأن ذلك هو سبب انقطاع الاتصال بين القطيف والبحرين. وقد سارع شيخ البحرين عيسى بن علي الخليفة للتأكد من حقيقة الأمر بإرسال أشخاص من قبله على قارب أرسله إلى دارين للتحري عن ما يشاع، فعاد أولئك المبعوثون ليؤكدوا عدم رؤيتهم لما يدعم تلك الشائعات[١٩]. ومهما يكن فقد ظل قلق الإنجليز وغضب العثمانيين على البحرين يخبو حيناً ويطغى حيناً آخر حتى وصل ذروته عند فراغ ناصر باشا السعدون من إخماد محاولة الأمير عبدالرحمن بن فيصل، حيث تردد أن ناصر السعدون ينوي التوجه إلى البحرين وأن الدولة العثمانية سوف تطالب شيخ البحرين بجميع النفقات التي صرفتها على حملتها التي أرسلت للقضاء على حركة الأمير السعودي[٢٠].

= الأحساء. للمزيد عن شخصية ناصر بن مبارك الخليفة ونشاطه وعلاقته بالعثمانيين انظر: السبيعي، **الحكم والإدارة في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني**، ص٣٢-٣٥.

(19) Ibid .

وانظر أيضًا:

(Abdul Rahman Papers) no. 1428/302, December 19, 1874.

(20) (Abdul Rahman Papers) no. 20/2, January 9, 1875.

وانظر أيضًا:

(IOR) Political Department, no. 58, Regarding the state of Affairs in Najd from Lieut. Colonel E. C. Ross to the Secretary to the Government of India Foreign Office, Calcutta, no. 1570/217, November 15, 1873.

حزم الأمير الشاب أمره لاسيما وقد عرف العثمانيين وألمَّ بشيء من طرق إدارتهم وأسلوب تحركهم واطلع على بعض خفايا مشاكلهم عندما كان في إقامته الجبرية في بغداد، وقرر أن يجرب حظه في استعادة حكم الأحساء والقطيف منهم بهجوم مفاجئ ولاسيما والوضع موات له فقد أحسن التوقيت، إذ خطط لهجومه مع نهاية موسم الغوص بحثًا عن اللؤلؤ وعودة كثير من أهالي نجد من البحرين إلى ديارهم وقد اضطر بعضهم أن يعود خالي الوفاض لم يحصل على مغنم من الموسم مما شجع كثيرًا منهم على الانضمام إلى عبدالرحمن بن فيصل. إذ ذكر أن عبدالرحمن قد تمكن من جمع نحو (٦٠٠) رجل حوله في البحرين عبر بهم إلى العقير ميناء الأحساء الرئيس، وهناك التحق به كثير من أنصاره من قبائل المنطقة خاصة العجمان وآل مرة، كما حصل على وعد من حاضرة الأحساء من سكان النعاثل والرفعة والطرف بتأييده وعونه[٢١].

ومن الأحساء أرسل عبدالرحمن رسالة في ١٠ شوال ١٢٩١هـ/ ٢١ نوفمبر ١٨٧٤م إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الكولونيل روس (Ross) يجس فيها نبض الإنجليز حيال محاولته انتقى فيها عباراتها بعناية فائقة، حيث أشار إلى أن رغبته تكمن في حكم المنطقة تحت المظلة الاسمية العثمانية، وكان يرمي من ذلك أن ينقل الإنجليز ذلك إلى العثمانيين. ومما جاء في الرسالة[٢٢]: "أود إعلامكم أنه

(21) Ibid.

(22) (IOR) (Abdul Rahman Papers) no.1397/182, December 12,1874.

بعد زوال الحكم العثماني المباشر من هنا.. ومن الأقاليم النجدية فإن الأمور ستسير على أحسن ما يرام.. فقد قدمنا من بغداد إلى الأحساء فوجدنا بزيغ آل عريعر يضطهد رعاياه ويتصرف تصرفًا خاطئًا جاعلا نفسه فوق الكل. وبما أن إقليم نجد وتوابعه ضمن أملاك الباب العالي والسكان مطيعون للدولة.. ونحن مستعدون للحكم وبأداء جيد. ولهذا عزمنا على تحريرهم من طغيان بزيغ وكونه عالة عليهم، وسنوفر لهم الأمن وسوف نستولي على المدن آملين أن يؤدي عملنا إلى تحقيق خدمة جيدة ترفع الدولة وتعليها.. ونبحث عن تحقيق أماني السلطان.. ونحن قادرون على حماية السكان وتحقيق الهدوء.. وبما أن سعادتكم شخص ذو نفوذ وتميز فإننا نرغب بحث هذه الأمور معكم والاستماع إلى نصيحتكم فيما يتعلق بنا".

ولم يكن رد الحكومة البريطانية مؤيدًا لهذه المفاتحة؛ إذ أبلغت الكولونيل روس المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بأن يقطع أي اتصال له مع عبدالرحمن بن فيصل[٢٣].

ويذكر محمد جاويد محاسب اللواء والمعاصر لتلك الأحداث أن عبدالرحمن بن فيصل نجح في إقامة علاقات مع خورشيد أفندي مأمور ميناء العقير، حيث تبودلت بينهم رسائل ومكاتبات، وأن عبدالرحمن بن فيصل تمكن من إرسال

(23) (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 261p, January, 26,1875.

(IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1428/302 December 19, 1874.

ذخائر إلى محمد الحبيل شيخ قرية الطرف الذي جمعها لديه وأنه استمر في إرسال الذخائر عبر ميناء العقير كما أعلن أنه سيمر عبر ذلك الميناء، ورغم كل هذا عبر دون تدخل من سلطة الميناء كما حجب الأمر برمته عن مجلس إدارة اللواء[٢٤].

جمع عبدالرحمن حوله في الأحساء (٨٠٠٠) مقاتل بينهم (٥٠٠) فارس وهاجم بهم العثمانيين في الأحساء في شهر رمضان ١٢٩١هـ/ أكتوبر ١٨٧٤م، وكان هدفه إخراج الجنود العثمانيين من قلاعهم وتحصيناتهم، فبدأ بقلعة خزام الواقعة خارج أسوار مدينة الهفوف مقر الإدارة العثمانية في لواء الأحساء[٢٥]. وكانت قلعة خزام هدفًا جيدًا واختيارًا ذكيًا لبدء المحاولة بسبب موقعها وقلة عدد أفراد حاميتها. وقد تمنعت القلعة في بداية الأمر بسبب إحاطتها بخندق يعوق تسلقها وبتأثير مدافع قلعة الكوت التي أمنت المساندة لها، لكن عبدالرحمن بن فيصل عالج تحصينات قلعة خزام بصنع سلالم مناسبة لها. مكنته من اقتحامها في ١٥ شوال ١٢٩١هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٨٧٤م[٢٦]. وقد قتل من الجند العثماني المدافع عن القلعة (١١) رجلاً وإن كانت بعض المصادر تقلل العدد إلى (٦) أفراد من العثمانيين و(١١) رجلاً من الجنود العرب الذين كانوا بداخل القلعة، كما قتل قائد

(٢٤) رسائل جاويد، مصدر سابق.

(25) (IOR) Abdul Rahman Papers) no. 1428/302 December 19. 1874.

(26) Ibid.

حامية القلعة دخيل آل عريعر ابن عم بزيغ آل عريعر متصرف لواء الأحساء، ومن جانب قوات عبدالرحمن بن فيصل قتل اثنان وجرح مثلهما[٢٧]. وقد وصلت في تلك الأثناء نجدات من آل سعود، فوصل سعود بن جلوي ومعه أحد أبناء سعود بن فيصل، كما بدأ سعود في تجهيز نفسه للمسير إلى القطيف التي كان عبدالرحمن بن فيصل يخطط للمسير إليها بعد تمكنه من السيطرة على الوضع في الأحساء[٢٨].

سار عبدالرحمن بن فيصل بعد انتزاعه قلعة خزام إلى القلعة العثمانية الرئيسة قلعة الكوت المحصنة، التي تقع داخل أسوار مدينة الهفوف، وتستخدم بصفتها مقرًا للحامية العثمانية الرئيسية في لواء الأحساء، وهاجم بوابة الفتح البوابة الرئيسة لسور الكوت الحصين، واستطاع قطع الاتصال بين الأحساء والقطيف، غير أن قلعة الكوت تمنعت عليه، إذ لم تؤثر في أسوارها الألغام التي استخدمها، كما لم يستجب بزيغ لرسالته التي طلب فيها استسلامه وإلا فسيكون مسؤولاً عن دمار الكوت بمثل ما حصل لقلعة خزام[٢٩]. وقد حاول بزيغ الفرار من بوابة الفتح الرئيسة لقلعة الكوت لكنه لم يجد سبيلاً إلى ذلك فعاد وتحصن في قصر إبراهيم. ورغم تحصنه في القصر فقد أمعن في إخفاء خبثه وكتمه أمام السكان وقام بتصرفات كثيرة غير لائقة أمام الأهالي، وكان ذلك سببا في نجاح الحصار، حيث

(27) Ibid.

(28) Ibid.

(29) Ibid.

اعتاد على إخفاء المذكرات الواردة إليه، ولاسيما فيما يختص بأمر المحافظة على الأمن ومارس حبس المساكين من الأهالي الذين لا حيلة لهم[٣٠]. وقد كاد بزيغ أن يستسلم عندما تأخرت نجدته وضاق على سكان الكوت تحمل الحصار الذي دام شهرين ظل بزيغ خلالهما رهين قصر إبراهيم ولم يكن بمقدوره فعل شيء لرفع المعاناة عنهم مما أجبرهم على زراعة المساحة الفسيحة المجاورة لقصر إبراهيم من ناحية الغرب بالقمح لسد جزء من احتياجاتهم الغذائية[٣١].

كاد عبدالرحمن بن فيصل أن يحقق آماله في ظل وجود متصرف ضعيف ومرتبك وحامية عسكرية ضعيفة العزيمة، وتروي الرواية المحلية كيفية انقسام سكان حاضرة الأحساء إلى فئتين، فئة أجبرت على البقاء على تأييدها للسلطة العثمانية، وهم سكان حي الكوت، وذلكم بحكم وجودهم داخل

(٣٠) رسائل جاويد، مصدر سابق.

(٣١) إفادة خطية من الأستاذ محمد سعيد الملا، وهو من المهتمين بتاريخ الأحساء، ويحتفظ بعدد من الوثائق العثمانية والمراسلات بين جده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الملا الذي شغل منصب مفتي الأحساء في الفترة العثمانية الثانية خلال الفترة (١٣٠٧-١٣٣١هـ) وقد كان للشيخ عبداللطيف الملا - رحمه الله - دور بارز في تاريخ الأحساء المعاصر وكان على صلة قوية مع الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - فقد أقام في منزله عند استرداد الأحساء، كما أن لوالده الشيخ أحمد - رحمه الله - دورًا مقدرًا عند أهل الأحساء، فقد تولى القضاء لفترة بعد استرداد الملك عبدالعزيز الأحساء في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، كما كان مشهورًا في علم الأنساب والتاريخ. وسيشار إلى إفادته فيما بعد برمز إفادة الملا.

أسوار قلعة الكوت ووجود الحامية العثمانية بها. وفئة مالت إلى جانب عبدالرحمن بن فيصل، وهم سكان حي الرفعة والنعاثل والمبرز والطرف. ويروى أنه كان لشيخ الرفعة عبداللطيف الحملي دور بارز في ميل سكان الحي إلى جانب السعوديين، كما كان لسكان النعاثل بزعامة عبدالله بن عبدالله بن زرعة عمدتها دور بارز مما جعل أهل الأحساء يطلقون على موقفهم الداعم لعبدالرحمن بن فيصل "فيضة النعاثل"[٣٢]. وعندما ضاق أهل الكوت بالوضع وحصرهم سور الحي دون ذنب إلا كون بزيغ قد حصر نفسه في قصر إبراهيم داخل أسوار الكوت، وبعدما علموا بفيضة النعاثل تدارسوا فيما بينهم فيما يجب الإقدام عليه، فبدا لهم أن مصلحتهم تفرض عليهم التنسيق مع زعامات الأحساء خارج الكوت، والتأكد من مواقفها قبل إعلان موقف واضح لهم. وفوضوا للقيام بتلك المهمة الشيخ محمد بن أحمد الدوغان أحد وجهاء الكوت وأثريائها، وطلبوا إليه الذهاب إلى عبداللطيف الحملي شيخ الرفعة، ليسأله إن كان يميل إلى تأييد عبدالرحمن بن فيصل وينصح بالاستسلام، ليعرض الأمر على سكان الكوت إلا أن الحملي نفى رغبته الانضمام إلى السعوديين، خوفًا من انتقام العثمانيين. فغادر الشيخ محمد الدوغان وكان كفيف البصر حكيم الرأي وهو يتمتم في همس لقائده سالم بن عيدان وهما يسلكان الطريق المعروف بطريق المدير القادم من جهة بوابة الخباز لقد نوى

(٣٢) المرجع نفسه.

عبداللطيف الحملي خيانتنا[٣٣]. وقد تحقق ما توقعه فعند اجتيازه بوابة سور الكوت الشرقية المعروفة ببوابة العليمي التي كان الحراس قد فتحوها على عجل له ليدخل منها وأقفلوها على وجل، سمع أزيز الرصاص ينهمر بكثافة عليهم فعرف أن ما توقع قد حصل فسارع الشيخ الدوغان يسأل عمن يتوافر لديه كميات من التمور لتحصين أسوار المدينة بها فذكر له توافر بعض التمور لدى أحمد بن عبدالسلام وابن غزال فطلب إحضارها ووضعها في أسوار الكوت[٣٤]. وكان متصرف لواء الأحساء بزيغ بن عريعر الخالدي وحاميته في حيرة وحصار وخوف لم ينقذهم منها إلا اتصال عيسى آل عمر من أهل الرفعة بواسطة رسالة رماها إليهم من وراء السور يسألهم فيها إن كان يستطيع تقديم عون لهم في محنتهم فطلب منه بزيغ إيصال رسالة منه إلى والي بغداد بأسرع ما يمكن[٣٥]. وقد قال المتصرف في رسالة الاستغاثة إنه محاصر في قصر إبراهيم وأخبر الوالي بسقوط قلعة خزام ثم بين له ضرورة المسارعة لنجدته وإلا فإن الأمور ستضطره شخصيًا للتسليم إذ إن وضعه يزداد حرجًا وسوءًا يومًا بعد يوم. وقد انطلق عيسى آل عمر حاملاً الرسالة وقطع المسافة بين الأحساء والبصرة في عشرة أيام ومن البصرة أبرق بفحوى الرسالة إلى بغداد[٣٦].

(٣٣) المرجع نفسه.

(٣٤) المرجع نفسه.

(٣٥) المرجع نفسه.

(36) (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1380/288, December 5, 1874.

نجدة ناصر باشا السعدون وبطشه بالأحساء:

قدم المدد العثماني على نوعين، أولهما قوة عسكرية نظامية مكونة من ثلاثة أفواج، تعداد كل منها حوالي ثمانمائة رجل تساندها ثلاثة مدافع وعدد من الجنود غير النظاميين. أرسلت هذه القوات محمولة على ظهر سفينتين حربيتين وسفينة نقل إلى ميناء القطيف، وصل آخرها في نهاية شهر ذي القعدة ١٢٩١هـ/ نهاية شهر ديسمبر ١٨٧٤م، وعلى متنها ستمائة جندي بقيادة ناصر باشا السعدون شيخ المنتفق يعاونه الفريق محمد باشا، وكان ناصر باشا السعدون قد تكفل بمهمة إنجاد بزيغ وإخماد انتفاضة عبدالرحمن بن فيصل، وقد تحمل شخصيًا معظم مصاريفها، كما قدم ألف مقاتل من رجال المنتفق عن طريق البر يقودهم ابنه مزيد، بينما قاد ابنه الآخر فالح حوالي خمسمائة فارس من رجال قبيلة المنتفق قدموا بخيولهم وثلاثمائة مقاتل مع جمالهم قدموا عن طريق البر، وعسكروا في البدراني قرب القطيف ينتظرون قدوم والدهما[٣٧]. وقد طلب ناصر باشا السعدون من جاسم آل ثاني شيخ قطر عونه بتأمين ألف جمل وجماعة

(37) (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1428/302, December 19, 1874.

وانظر أيضًا:

(IOR) Political Department, Regarding the state of Affairs in Najd from Lieut. Colonel E. C. Ross to the Government of India, Political Department, Calcutta), no. 1590/230, November29, 1873. (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1380/288 December5, 1874. (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1347/172, November 28, 1874.

من المقاتلين إلا أن جاسمًا اعتذر بحجة عدم توافر الجمال وصعوبة إرسال المقاتلين عن طريق البر خوفًا من هجوم قبيلة النعيم وأهل الزبارة(٣٨). كما اعتذر ناصر بن مبارك بن عبدالله الخليفة الذي وصل إلى القطيف لمقابلة ناصر باشا السعدون عن حشد بني هاجر وسيرهم معه بحجة أنهم غير معتادين على القتال البري، إضافة إلى خشيتهم من هجوم العجمان وآل مرة، وقد رد عليه ناصر باشا السعدون غاضبًا أن الحكومة العثمانية غير مكترثة لموقفهم ولا متطلعة لخدمتهم(٣٩). وقد ذكر ناصر بن مبارك آل خليفة أن ناصر باشا السعدون استولى على حوالي (٤٠٠) حمار من حمير أهل القطيف من أجل نقل المؤن والذخيرة إلى الأحساء، وأن حركة سير القوارب بين القطيف والبحرين قد تعطلت بسبب استيلاء ناصر باشا السعدون على كل القوارب القادمة إلى القطيف من البحرين، إذ لم يفرج عنها إلا بعد مغادرة ناصر باشا السعدون إلى الأحساء(٤٠).

وصل ناصر باشا السعدون الأحساء عن طريق البر مشكلاً مفاجأة لعبدالرحمن بن فيصل الذي كان يظن أن النجدة

(38) (IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 1428/302 December 19, 1874.

انظر أيضًا:

(IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 1347/172, November 28 1874.

(39) Ibid.

(40) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 1428/302, December 19, 1874.

العسكرية تصل عن طريق ميناء العقير فهيأ نفسه للتعامل مع ذلك الافتراض. وعسكر ناصر باشا السعدون بقواته التي بلغت حوالي خمسة آلاف رجل في موضع ماء يسمى "الحويرات" شمال المبرز[٤١]. وقد روى شاهدا عيان أحدهما من قبيلة العجمان والآخر من قبيلة بني هاجر أرسلا من القطيف إلى الأحساء من قبل شيخ البحرين لتحري تحركات ناصر باشا السعدون وعبدالرحمن بن فيصل، وصلا إلى القطيف في ٦ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ١٦ديسمبر ١٨٧٤م، بعد أن أطلق سراحهما إثر وقوعهما في أيدي العجمان، تفاصيل المواجهة بين عبدالرحمن بن فيصل وناصر باشا السعدون بقولهما[٤٢]: "كان عبدالرحمن بن فيصل آنذاك موجودًا بجوار قلعة الكوت محاصرًا لها فأرسل فهد بن صنيتان مع القبائل لملاقاة قوات ناصر باشا السعدون. وكانت قوات عبدالرحمن بن فيصل موزعة بين ثلاثة أقسام، بينما كان جيش ناصر باشا السعدون موحدًا، وقد التمس العجمان من عبدالرحمن بن فيصل أن يسمح لهم بالمبادرة بالهجوم على جيش ناصر باشا السعدون لكنه لم يأذن لهم بسبب خشيته أن ينتج عن اندفاع العجمان تدمير لهم يؤثر على بقية جيشه ورأى إن كان لا بد من المبادرة بالهجوم فيجب أن تقوم به القبائل النجدية التي اندفعت متقدمة في وجه صفوف الجيش الغازي وتمكنت من قتل حوالي (٣٠٠) رجل لكنها

(41) Ibid.

(42) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 1467/321, December 31, 1874.

صدت في النهاية بفعل نيران المدافع الكثيفة من جانب قوات ناصر باشا السعدون".

اقترح العجمان بعد هذا الهجوم الفاشل لقوات عبدالرحمن بن فيصل أن ينقل معسكره إلى موقع آخر ليغري الجيش المهاجم على تتبعه ومهاجمته مما قد يتيح لهم وضع أفضل للهجوم، إلا أن عبدالرحمن لم يمل إلى الأخذ بهذا الخيار قبل أن يعرف عدد الجيش العثماني وقوته التسليحية(٤٣).

ومن أجل حشد قوات أكثر بادر عبدالرحمن بن فيصل بإرسال ابن أخيه سعد بن سعود إلى جودة وابن عمه فهد بن صنيتان إلى الهفوف لاستنهاض مزيد من التعزيزات(٤٤). وقد بذل جهده للاحتماء من وطأة نيران المدفعية العثمانية التي ميزت القوات القادمة مع ناصر باشا السعدون، حيث كان بحوزته ثلاثة مدافع وظل محاصرًا للأحساء مدة أربعين يومًا(٤٥). وما لبث الجيشان أن التحما في معركة ضارية دامت أربعة أيام بدأت في اليوم الأول من شهر ذي القعدة في الحويرات(٤٦). وكان عبدالرحمن بن فيصل قد اختار مجموعة خاصة مكونة من (١٦) فارسًا و(٨٠) من راكبي الهجن، وعهد إليهم بمهمة تعقب ناصر باشا السعدون

(43) Ibid.

(44) Ibid.

(45) Ibid.

(46) Ibid.

ومحاولة قتله، لكنهم عندما اقتربوا منه انطلقت عليهم النيران بكثافة فقتل رأسان من الإبل، ففر الجميع في اضطراب، مما أربك من كان مع عبدالرحمن بن فيصل وأدى إلى تفرق من كان معه، عندها أيقن عبدالرحمن بن فيصل أنه لا فائدة من الاستمرار في التصدي بسبب تفوق الجيش العثماني عددًا وعدة، ففر مع فهد بن صنيتان وعدد قليل من أتباعه الذي ثبتوا معه قاصدين جودة(٤٧). فقد ذكر إبراهيم بن محمد أحد مرافقي عبدالرحمن بن فيصل الذي وصل إلى البحرين قادمًا من جودة عن طريق الزبارة مع أربعين من مرافقيه في شهر ذي الحجة ١٢٩١هـ/ يناير ١٨٧٥م أن عبدالرحمن لا يزال في جودة، وأن أخاه سعود بن فيصل موجود في الرياض(٤٨).

لم يكن ناصر باشا السعدون على علم بوجود عبدالرحمن بن فيصل على مقربة منه، ولا بتفرق جنده وانقطاع صلته بهم وإلا لهاجمه، لكن ناصر باشا السعدون اكتفى بالابتهاج بالنصر ومواصلة زحفه لإنقاذ المحاصرين في قلعة الكوت(٤٩). ويذكر محاسب اللواء محمد جاويد أن مزيد باشا بن ناصر باشا السعدون الذي عين فيما بعد متصرفًا للواء بدلاً من بزيغ الخالدي قد قتل الابن الأكبر للشيخ حزام أحد مشايخ قبيلة العجمان في أثناء القتال، كما ذكر أنه قتل ابنًا آخر للشيخ حزام لكنه أضاف أن مقتل الابن الثاني كان في

(47) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 46/5, January 15, 1875.

(48) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 150/9, January 6, 1875.

(49) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 46/5, January 15, 1875.

أثناء الصدام بينه وبين قبيلة العجمان دون تفصيل أو تحديد تاريخي لذلك، وإن كانت رسالته مؤرخة في ٢٥ رجب ١٢٩١هـ/ ٩ سبتمبر ١٨٧٤م(٥٠).

رغم تمكن العثمانيين من الانتصار في هذه المواجهة، إلا أن حظ السعوديين في الفوز كان قويًا لو كان ثمة تنسيق بين عبدالرحمن بن فيصل وأخيه سعود، فيقدم سعود بمن معه من نجد، ثم لو وُزِّعت القوات التي جمعها عبدالرحمن بن فيصل على شكل كماشة تحيط بجند ناصر باشا السعدون مستفيدة من العمق الإستراتيجي ومعرفتهم بطبيعة المنطقة، واستخدام أسلوب الكر والفر والاستنزاف وعرقلة تقدم الحملة العثمانية صوب الهفوف. وقد يفسر استعجال عبدالرحمن بن فيصل الهجوم على العثمانيين في الأحساء باطلاعه على ضعف وجودهم فيها ونفور السكان - بادية وحاضرة - مما أغراه بمفاجأتهم مستبعدًا تدبير نجدة بهذا الحجم وهذه السرعة. كما يظن أن عبدالرحمن بن فيصل كان يعتقد بصحة ما شاع في مناطق الخليج العربي بأن العثمانيين قد أعطوا حكم الأحساء والقطيف لبزيغ بن عريعر الخالدي مقابل مبلغ سنوي يدفعه إليهم، زاد من ذلك شيوع إطلاق مسمى "حكومة بزيغ" على الإدارة في الأحساء والقطيف، وأن بزيغ قد عهد له بالحكم بضمان من صهره ناصر باشا السعدون شيخ المنتفق. يتضح ذلك من رسالة بعثها عبدالرحمن بن فيصل إلى وكيل المقيم السياسي

(٥٠) رسائل جاويد، مصدر سابق.

البـريطاني في الخليج العـربي في ١٠ شـوال ١٢٩١هـ/ ٢١ نوفـمـبـر ١٨٧٤م لخـصـهـا الـوكيل إلـى حكومـتـه كـالتـالي[٥١]: اسـتلمت اليـوم رسـالة من عـبـدالرحـمن بن فـيـصل، وكـان عبدالرحمن يرغب من محاولته أن يظهر بمظهر من يتمنى الخيـر للدولة العـثمـانية أكـثر من كـونه عدوًا لهـا. وربما أن هدفه من هذه الرغبة في المقام الأول حمايته شخصًا من نتائج عدوانية، ثم رغبته في حمل الدولة العثمانية لتوافق على بقائه حاكمًا للأحساء على أساس أن يدفع مبلغًا ماليًا للدولة العثمانية وقد بعث عبدالرحمن بعدة رسائل إلى عدة شيوخ وأعيان في الجانب العربي من الخليج. كما أرسل إلى والي بغداد عارضًا عليه أن يدفع ضريبة مماثلة لما يدفعه بزيغ إذا عهد له بحكم المنطقة شريطة عدم مضايقته أو التحرش به. ولم أجبه بشيء.

وقد استحسنت الحكومة البريطانية موقف الوكيل وأكدت عليه في ٢٧ ذو الحجة ١٢٩١هـ/ ٢٦ يناير١٨٧٥م بالامتناع عن أي اتصال مع عبدالرحمن بن فيصل[٥٢].

ويؤيد ما ذكره عبدالرحمن بن فيصل عن عهدة الدولة العثمانية لبزيغ بن عريعر لحكم اللواء وتذمر الأهالي من حكمه ما رواه محاسب اللواء في عهده محمد جاويد[٥٣]:

(51) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 1397/182 December 12, 1874.

(52) Ibid.

(٥٣) رسائل جاويد، مصدر سابق.

"أن صاحب العزة بزيغ باشا بعد علمه بتحرك الجنود النظامية السلطانية استنكف من تطبيق الأمور والمصالح وفق الشرع الشريف والقانون المنيف تطبيقًا تامًا وسلك طريقًا غير سوية فيها اختلاس ومظالم وتعديات، فشق على الأهالي وعلى مشايخ القبائل، وكان ذلك سببًا في إرهابهم وبغضهم للحكومة السنية - ولهذا - تمخضت تلك الأحوال والتصرفات عن نتائج وخيمة".

ثم يصل جاويد إلى القول[٥٤]: "وتمادى (بزيغ) فيما هو فيه فكان يقول: أنا متعهد لواء الأحساء وأنا المسئول عن المحافظة على شئون اللواء، وكان يخفي عن مجلس إدارة اللواء المخاطبات والمراسلات التي تأتيه من صاحب السعادة ناصر باشا".

كانت بعض تقديرات عبدالرحمن بن فيصل دقيقة وخاصة فيما يتعلق بصعوبة قيام الدولة العثمانية بتدبير حملة كبرى لإنقاذ الأحساء لما تواجهه من صعوبات مالية، فلولا تحمل ناصر باشا السعدون لمعظم ما صرف على الحملة العسكرية وحشد معظم القوات التي جاءت معه أو مع ابنيه مزيد وفالح والتي جندها من عشيرته المنتفق، إضافة إلى تحمل نفقات إقامته في الأحساء وما صرف على الترتيبات التي أقرها فيها، لولا ذلك الجهد الخاص لتغيرت الصورة كثيرًا.

توجه ناصر باشا السعدون بعد انتصاره على قوات عبدالرحمن بن فيصل في الحويرات إلى مدينة الهفوف في اليوم التالي فوصلها بعد صلاة العشاء فنزل بجوار السور الشمالي

(٥٤) المصدر نفسه.

لقلعة الكوت عند البرج الأوسط بجوار مسجد الحسن الحالي في موقع المعهد العلمي الحالي، وصار ينادي بصوت مرتفع على بزيغ ورجاله لفتح أبواب سور قلعة الكوت لدخولهم(٥٥).

أطلق ناصر باشا السعدون أفراد جيشه بعد فك حصار الكوت ليعيثوا فسادًا بالأحساء، لكنه صب جام غضبه بصورة أعنف على أهالي النعاثل والرفعة وقرية الطرف لانحياز أهلها إلى جانب عبدالرحمن بن فيصل وعاملهم بوحشية بالغة نفرت بعض ضباط الجيش العثماني نفسه. وقد أراد ناصر باشا السعدون أن يجعل من تنكيله عبرة لأهل الأحساء لئلا يعودوا إلى مثله. وكان سبب إضافة قرية الطرف إلى قائمة المنكل بهم كون طليحان الطليحان أحد أعيانها على نزاع مع محمد بن صالح بن حبيل شيخ الطرف وعمدتها الموالي لآل سعود مما جعله ينحاز للعثمانيين(٥٦). وكان أعيان الأحساء قد قدموا إلى ناصر باشا السعدون مضبطة تبين سبب تردي الأوضاع في اللواء وسوء معاملتهم من قبل بزيغ، وقد ناقشها ناصر باشا السعدون بندًا بندًا مع معاون المتصرف في لقاء خصص لذلك الغرض، لكنه لم يرض عنها، مما جعله يهدد الأهالي إن هم أصروا عليها(٥٧).

قام رجال ناصر باشا السعدون بأعمال بطش وقتل وسلب واغتصاب للنساء لمدة ستة أيام، وفي اليوم السابع أصدر ناصر باشا السعدون أمرًا بإيقاف عمليات التنكيل والنهب،

(٥٥) إفادة الملا، مرجع سابق.

(٥٦) المرجع نفسه.

(٥٧) رسائل جاويد، مصدر سابق.

وأمر بإعادة النساء إلى بيوتهن[٥٨]. وقد أدى الرعب والخوف من هتك الأعراض إلى فرار بعض الرجال بأسرهم إلى بعض من يعرفون من رجال القبائل في نواحي الأحساء كحنيذ مثلاً[٥٩]، كما قام بعض أعيان الشيعة الذين لم يتعرضوا لفتك ناصر باشا السعدون ورجاله بإيواء بعض عائلات جيرانهم أو من يعرفون من السنة، وقام بعض الرجال بإخفاء نسائهم وراء أكوام علف الدواب في منازلهم، وامتنعت معظم الأسر الخائفة عن طهي وجبات الغداء في منازلها خشية أن تجلب رائحتها نظر أفراد القوة العثمانية إلى معرفة وجود عائلات في تلك المنازل فيقتحموها[٦٠].

قتل ناصر باشا السعدون من وقع في يده ممن ناصر عبدالرحمن بن فيصل أو مال إليه من أعيان الأحساء، فقد بلغ من قتلهم انتقامًا حوالي (١٥٠) شخصًا، كان من أشهرهم محمد بن مانع، وعبدالعزيز بن نعيم، وعبدالرحمن بن عامر، وعمه أحمد، ورشيد بن عبدالرحمن الباهلي وغيرهم[٦١].

(58) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 46/5, January 15, 1875.

(٥٩) حنيذ: هجرة لقبيلة العجمان تقع في وادي المياه، تقع شمال الهفوف قاعدة الأحساء، وعلى بعد ٢٠٠ كيلو متر منها.

(٦٠) إفادة عبدالله بن إبراهيم الجبر، وهو مهتم بالتاريخ والأنساب ولديه مجموعة كبيرة من الوثائق، لاسيما الوثائق الشرعية القديمة. ويروي تلك الرواية نقلاً عن والده وجده.

(٦١) محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، مكتبة المعارف (الرياض) ومكتبة الأحساء الأهلية (الأحساء)، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٧٥. وانظر أيضًا: رسائل جاويد، مصدر سابق.

(IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 46/5, January 15, 1875.

أدى تعسف ناصر باشا السعدون وشدة قسوته إلى فرار السكان في كل اتجاه، فقد ازدحم ميناء العقير بأرتال غفيرة منهم في شقاء وبؤس بدون مأوى أو طعام محاولين الفرار إلى البحرين أو الزبارة بقطر أو أي منطقة أخرى من مناطق الخليج العربي، حتى إن فلولهم قد وصلت إلى عمان ومسقط[٦٢]. وقد ذكر أن قائم مقام القطيف كان يخطط لإرسال اثنين من العسكريين العثمانيين مع ٢٠٠ من أهل سيهات إلى ميناء العقير لمنع الفارين من المحاربين في الأحساء من الفرار إلى البحرين وغيرها[٦٣]. كما تفرق من قعدت بهم السبل في الأحساء بين قرى الأحساء بحثا عن مخبأ ومأوى وقد عرفت هذه المعاناة عند أهل الأحساء باسم سنة ناصر باشا السعدون. وقد وصف شاهد عيان من الجانب العثماني الرسمي تلك الفظائع الوحشية التي رآها بعينيه في رسالة بعث بها إلى السلطان، ومما جاء في تلك الرسالة المثيرة قوله[٦٤]: "أعرض على جلالتكم التي هي آثار العدل والعطف والرحمة ما علمته من الأخبار الصحيحة خلال تلك المدة [وجود ناصر باشا السعدون في الأحساء]، فالخسائر في قضية اللواء بلغت تخميناً أكثر من ألف قتيل ومصاب، علاوة على الفارين، إضافة إلى خسائر مادية

(62) (IOR) (Abdul Rahman Papers) From Lieut. Colonel E. C. Ross to the Government of India, Foreign Department, Bombay, no. 20/2, January 9, 1875.

(63) Ibid.

(٦٤) رسائل جاويد، مصدر سابق.

ومفقودات بلغت خمسة عشر مليون آقجة[٦٥] وقطعة معدنية. وقد رفع الأهالي شكايات من تلك التعديات لكن بعد المسافة وفقد وسيلة المخابرة أجبرهم على العجز والسكون".

ثم يتطرق إلى وصف أكثر بشاعة لما ارتكبه ناصر باشا السعدون ورجاله من أمور يعف القلم عن تدوينها هنا لبشاعتها، خاصة وهي مرفوعة من أحد أعضاء مجلس إدارة اللواء العثمانية إلى السلطان العثماني. وبهذا يتحمل أمانة ما ينقل بصفته شاهدًا على ما يجري على مسرح الأحداث، ويمكن مقاضاته في حالة ثبوت خلاف ما ذكر.

ومضى محمد جاويد محاسب اللواء في وصف ما فعله ناصر باشا السعدون في الأحساء في تقرير آخر في ٨ ذو القعدة ١٢٩١هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨٧٤م، بعثه إلى والي بغداد فيقول[٦٦]: "وهدمت أكثر من ثلاثة آلاف منزل بنواحي الرفعة والنعاثل والمبرز، وأغار بدو المنتفق المشاركون في الحملة على الأحياء فنهبوا المنازل بعد تحطيمهم أبوابها، وأتلفوا الحقول وسرقوا مواشي الفلاحين بتلك النواحي، وقتلوا الأبرياء دون ذنب أو جريرة، حتى لاذ بالفرار أكثر من خمسة عشر ألفًا من الرعايا.. كما أتلفوا المحاصيل الزراعية".

أضاف محمد جاويد في تقريره: "استخدم [ناصر باشا السعدون] عددًا من عساكر الضابطة [الشرطة] فأغاروا

(٦٥) الآقجة: كانت الآقجة وحدة التعامل الفضيّة في الدولة العُثمانيّة، وكانت تُسمى: العُثمانيّة... وكانت تساوي ثلث بارة، وكل أربعين بارة تساوي قرشًا صاغًا.

(٦٦) المصدر السابق.

على عباد الله ورعايا الدولة العلية، فخربوا قصورهم وأخرجوا أهل القرى من قراهم فرارًا، وقد نهبوا ما يقدر بمليون آقجة من أموال الخزينة وأموال أملاك الدولة العلية".

وقد استشهد محمد جاويد على صدقه ونقاء سيرته وحسن نيته بمضبطة كتبها باللغة العربية في ١٥ ذو القعدة ١٢٩١هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨٧٤م بعض أبرز مشايخ حي الكوت وأعيانه وهم عبدالرحمن الخطيب، وعبدالله بن جغيمان، ومحمد بن دوغان، وعبدالله بن أبي بكر الملا، ومحمد بن عبدالرحمن بن عمير، ومحمد بن أحمد بن عثمان، وعبدالله بن دوغان، وعبدالرحمن بن عبدالله بن عمير، وحسين بن عبدالله بن فلاح[٦٧].

وقد فر جمع من أعيان الأحساء ووجهائها إلى البحرين ممن مالوا إلى عبدالرحمن بن فيصل في محاولته استرداد الأحساء، خوفًا من بطش ناصر باشا السعدون ورجاله الذين كانوا يتتبعونهم ويتوعدونهم. وكان من أشهرهم عبدالله بن عبدالله بن سلامة (ابن زرعة) عمدة النعاثل الذي قيل إنه تزعم تأييد أهل الأحساء لعبدالرحمن بن فيصل أثناء المحاولة وكان بمثابة الساعد الأيمن له، وأربعون شخصًا من شخصيات الأحساء البارزة ومنهم حسب ما تورده الوثائق، ابن ملحم، ابن مانع، ابن ماجد، الحملي، ابن حبيل، وهم ما أطلق عليهم ناصر باشا السعدون اسم عصابة الأربعين[٦٨].

---

(٦٧) المصدر السابق.

(68) (IOR) (Abdul Rahman Papers) From Lieut. Colonel E. C. Ross to the Government of India, Foreign Department, Bombay, no. 20/2, January 9, 1875.

وقد عاقبهم ناصر باشا السعدون بمصادرة بضائعهم ومقتنياتهم وأملاكهم في الأحساء وبيع بعضها[٦٩]. وقد بعث عبدالله بن عبدالله بن سلامة بثلاث رسائل من البحرين إلى كل من ناصر باشا السعدون وبزيغ بن عريعر الخالدي وقائد الحامية العسكرية العثمانية في الأحساء يستعطفهم بالعفو عن الأربعين[٧٠] الذين فروا من الأحساء والسماح لهم بالعودة[٧١]. وقد عاد عبدالله بن سلامة إلى العقير يستطلع الأمور في بداية عام ١٢٩٢هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤م فوجد (١٥٠) من الجنود العثمانيين وأربعين رجلاً من رجال المنتفق مع خورشيد أفندي الذي عين توًا قائم مقام للقطيف بدلاً من خضر أفندي قادمين من الأحساء فتوجس منهم خيفة، كما وجد ربان سفينة عثمانية لا يعرفه، فسأله عما يعرفه عن عبدالله بن عبدالله بن سلامة فأجابه أنه لو وجده لقتله[٧٢].

بعث المسؤولون العثمانيون مساعد حرب بكباشي [مقدم] محمد سعيد أفندي للتحري عن أحداث الأحساء بناء على ما

(69) Ibid.

وانظر أيضًا :

(IOR) (Abdul Rahman Papers) no. 150/19, February 6, 1875.

(٧٠) من ضمن من صودرت أملاكهم ممن عدوا من عصابة الأربعين المؤيدة لعبدالرحمن بن فيصل كل من علي الماجد الذي صودر بستانا نخيله المعروفان باسمي وسيلة والفيروزية، وعبدالعزيز بن عمر السويلم الذي صودر له غرافة [مزرعة] النجارية. وقد استعاد المذكوران نخيلهما عن طريق شرائها نقدًا مرة أخرى، أيام متصرف لواء الأحساء مزيد باشا السعدون.

(71) Ibid.

(72) Ibid.

بعث به معاون المتصرف - الذي راعه ما رأى - من تقارير عما تم في اللواء من أحداث وأفعال مشينة وطلبه إرسال مفتشين لمشاهدة ما حدث من أمور منكرة وقد وصل محمد سعيد أفندي إلى الأحساء لكن حضوره زاد الأمر سوءًا حيث سلب راحة كل الأطراف. فقد أرسل قبله مدير ناحية المبرز زيد بك إلى القطيف يتحرى عن احتجاج الأهالي على بعض التكاليف الشاقة المفروضة على أهل القرى، فكانت نتيجة زيارته إحراق عدد من منازلهم من قبل الحامية العثمانية في اللواء(٧٣).

أمضى ناصر باشا السعدون قرابة شهرين في الأحساء يرتب أمورها التي كادت أن تنفلت من سلطة الدولة العثمانية لولا تعهده الشخصي ومبادرته الذاتية وتحمله جهد إعادتها. وقد عزل قبيل مغادرته صهره بزيغ بن محمد بن عريعر الخالدي مبررًا عزله باستقالته بسبب مرضه، وعين بدلاً عنه ابنه مزيدًا الذي قدم معه متصرفًا على لواء الأحساء بالمرتب نفسه وعلى رتبة أمير أمراء. وقد وصل بزيغ بن عريعر القطيف وغادرها في ٧ صفر ١٢٩٢هـ/ ٧ فبراير ١٨٧٥م بطريق البر مع أفراد من المنتفق عن طريق الكويت(٧٤)، حيث لم يصحب ناصر باشا السعدون الذي عاد بحرًا إلى البصرة وهو ومرافقوه على سفينتي نجد وبورصة، إذ عاد بـ (٨٠٠) جندي عثماني، بينما عاد رجال المنتفق عن طريق البر. وقد ترك ناصر باشا السعدون وراءه في الأحساء مع ابنه قوة

(٧٣) رسائل جاويد، مصدر سابق.

(74) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 205/58, February 20, 1875.

مكونة من (٦٠٠) جندي نظامي و (٤٠٠) من أفراد الشرطة ومجموعة كبيرة من رجال المنتفق[٧٥]. وقد أخذ ناصر باشا السعدون معه حين عودته بعض المقتنيات الثمينة[٧٦]، كما نهب الجند العثمانيون من أتراك وعرب وغيرهم غنائم كبيرة من الذهب والفضة والسجاد الثمين وأدوات منزلية باعوها في سوق القطيف. وقد بلغت قيمة ما سلب من الأحساء حسب إحصائية رسمية حوالي (٣٠) لكًا من الريالات[٧٧]، كما أزال المتاجر والأشجار والمنازل التي كانت في حي النعاثل والرفعة بجوار السور الجنوبي والغربي لسور الكوت[٧٨]. وتحرى ناصر باشا السعدون عن الأشخاص الذين ساعدوا السعوديين في انتفاضتهم وتعاونوا معهم وتوعدهم بالقتل، وقد عاد ومعه خمسون أسيرًا من أعيان الأحساء، وكان ممن أخذ معه ابن حرز من سكان حي النجاجير بالكوت، وعلي الحبابي من أهل قرية القارة[٧٩]، وقد جهزت لهم جمال للسفر بهم إلى القطيف ومنها بحرًا إلى البصرة. وقد شاء الله أن يسقط ابن حرز من فوق جمله عند عين أم خريسان على مقربة من أسوار الكوت الشمالية ويموت، وأما علي الحبابي من أهل القارة فقد كتب أحمد بن مهدي بن

(75) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 207/60, February 20, 1875.

(76) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 214/30, February 20, 1875.

(77) Ibid.

اللك: مائة ألف ريال. وانظر أيضًا:

(IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 46/5, January 9, 1875.

(78) Ibid.

(٧٩) إفادة الملا، مرجع سابق.

نصـرالله أحـد أعـيـان القطيف وأحـد المقـربين من الإدارة العثمانية ومن ناصر باشا السعدون شخصيًا إلى الأحسائيين الذين يعـملون حمـالين في مـيناء البصـرة لتخليصـه فـقـامـوا بذلك، فعاد فارًا وغير إقامته إلى قرية الغرس، ولعدم أهميته لم يتابع[٨٠]. وقد صور عبدالله بن عبدالله بن سلامة محنة أهل الأحسـاء في رسالة مؤثرة بعثها إلى أحد أفراد آل خليفة في البحرين في ١٤صفر ١٢٩٢هـ/ ١٤ فبراير ١٨٧٥م، بعد عودته إلى الأحساء ورؤيته ما حل بها[٨١]: "عندما عدت إلى البلاد كان أمرًا محزنًا كثيرًا أن أرى ما حدث للمخلصين فقد عم البلاء والوحشية التي ارتكبت في المدن والقرى. وقد عاد الناس الآن إلى أعمـالهم بعـد مغـادرة ناصـر باشـا. آه يا أخي - لعل الله يحفظ في الكتمان ما حصل للعائلات جميعها - ويلطف بنا لما نهب من ممتلكاتنا. لقد أزيلت المنازل والأشجار التي كانت بجوار سور الكوت الجنوبي والغربي وطال هذا التدمير قسمًا كبيرًا من المدينة منها محلات تجارية دمرت تمامًا ولا يزال الاضطهاد مستمرًا. إلا أن الثقة في الله القوي فوق الجميع. لقد فر معظم سكان المدينة ما عدا المؤيدين لناصر باشا خوفًا من أخذهم من قبله إلى الأستانة. لقد كتبت إلى عيسى [شيخ البحرين] بأن خطاباته لابن نقيدان وابن حبيل قد وقعت في أيديهم. أتضرع إلى الله أن يحفظك وإياهم من السوء".

ساء أهالي الأحساء ما بلغهم من تكريم الدولة العثمانية لناصـر باشـا السـعـدون بعـد عـودته، وكـان أكثـر مـا سـاءهم

(٨٠) المرجع السابق.

(81) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 214/30, February 20, 1875.

تكريمه بتعيين ابنه مزيدًا متصرفًا على لواء الأحساء، ولم يكونوا وحدهم الذي ساءتهم أنباء تلك الحفاوة والتكريم، بل شملت بعض المسؤولين العثمانيين في اللواء الذين عاصروا تلك الأحداث، فقد كتب محمد جاويد إلى الصدر الأعظم ما يلي(٨٢): "أما سكان وأهالي اللواء فقد نما إلى علمهم ما جاء في البريد الذي يأتي به ابن أحد رجال ناصر باشا، أن الرسائل والبرقيات والواردة إلى مزيد باشا، المتصرف اللاحق، تفيد أن الباشا المذكور [ناصر] قد أنعم عليه بإحسان سلطاني كمظهر للعطف عبارة عن نيشان مجيدي من الدرجة الأولى، وقبضة سيف مرصعة وعددٍ من الأقراط الذهبية، بل أكثر من ذلك فإن منطقة لواء الأحساء ستصبح ولاية وستكون في عهدته ببشرى وإشعار قريب، فلما علم الأهالي بذلك يئسوا من الرحمة والشفقة السلطانية وفروا إلى المناطق البحرية آسفين على ما يجري".

وقد لخص محمد جاويد محاسب لواء الأحساء في أثناء الأزمة أن سبب ما حصل في لواء الأحساء من أحداث في عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، وحصره في أربعة بنود رئيسة هي(٨٣):

١ - تعيين بزيغ بن محمد آل عريعر الخالدي متصرفًا للواء الأحساء رغم ضعفه وسوء معاملته للأهالي، وإخلاء اللواء من الجنود النظاميين وإرسالهم إلى بغداد.

(٨٢) الأرشيف العثماني، إرادة داخلية، إرادة سنية، رقم ٤٨٩٣١، مؤرخة في ٢٧ صفر ١٢٩٢هـ.

(٨٣) الأرشيف العثماني، إرادة داخلية، إرادة سنية، رقم ٤٨٩٧٦، مؤرخة في ٧ ربيع الأول ١٢٩٢هـ.

٢ - تعيين أربعمائة جندي من الهجانة واستخدامهم للمحافظة على الأمن رغم أنهم كانوا مجرد جسم بلا روح، علاوة على أن بزيغ عين نحو أربعين أو خمسة وأربعين من قبيلته، وأربعين أو خمسين من فسدة القبائل القساة، وبذلك صار باللواء حوالي خمسة وتسعين من الجنود المتوحشين في الخيالة والمشاة.

٣ - إخلاء سبيل عبدالرحمن بن فيصل وفهد بن صنيتان من الإقامة الجبرية في بغداد دون متابعتهما ومعرفة وقت وصولهما إلى المنطقة.

٤ - عدم إعطاء معلومات مباشرة إلى ولاية بغداد وقت بدء محاولة عبدالرحمن بن فيصل، إذ لجأ ناصر باشا السعدون إلى إخفاء تدهور الأحوال من أجل الفوز برضى السلطان.

ولقد قدرت الدولة هذا العون الكبير لناصر باشا السعدون، حيث سارع الباب العالي إلى تعويضه ماديًا عما صرفه من مبالغ، فصدرت الإرادة السلطانية في ٢٧صفر١٢٩٢هـ/ ٧ إبريل ١٨٧٥م بدفع ما صرفه ناصر باشا السعدون من مبالغ لكن ناصر باشا رفضها خشية أن يؤدي قبوله بالمبلغ من الحط من قدره لدى السلطان، ورغبة منه في إظهار أن ما صرفه كان أكثر بكثير وطمعه فيما هو أكبر من هذا التعويض المادي[٨٤].

(٨٤) الأرشيف العثماني، إرادة داخلية، إرادة سنية، رقم ٤٨٩٣١، مؤرخة في ٢١ جمادى الثانية ١٢٩٣هـ. هذا ما يتضح من الوثيقة لكن الثابت أنه عندما لاحظت الدولة العثمانية أن الأمور قد مهدت لناصر باشا أن يكون واليًا على البصرة وولده فالح متصرفًا على الناصرية بالإضافة إلى ثروته المالية خشيت الدولة نفوذه واستقلاله، حينها =

وهذا ما دفع السلطان في ٧ ربيع الأول ١٢٩٢هـ/ ١٤ إبريل ١٨٧٥م، إلى مكافأته على جهوده في القضاء على انتفاضة عبدالرحمن بن فيصل ومحاولته استرداد الأحساء، بمنحه نيشانًا مجيديًا من الرتبة الأولى ورفع مرتبته إلى أمير أمراء روم إيلي، وهي أعلى رتبة فخرية في الدولة العثمانية. إلا أن المكافأة العظمى التي كان ينتظرها قد جاءته عندما تم سلخ البصرة عن ولاية بغداد واعتبارها ولاية مستقلة وربط الأحساء بها وتعيين ناصر السعدون أول والٍ عليها في سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، وتعيين ابنه مزيد متصرفًا للواء الأحساء(٨٥). وقد ظل العثمانيون يحتفظون بالجميل لناصر باشا السعدون فقد صدرت إرادة سلطانية في ٢١ جمادى الأولى ١٢٩٣هـ/ ١٦ يونيو ١٨٧٦م تنص بتحمل جميع المصاريف الخاصة باستئجار فيلا على الساحل في الآستانة، والبالغ مقدارها (١٦١١٤) قرشًا، بمناسبة زيارة ناصر باشا السعدون لها(٨٦).

سارع عبدالرحمن بن فيصل بعد الهزيمة من جودة إلى الرياض حيث وصلها في وقت مناسب، إذ وجد أخاه الإمام سعودًا مريضًا يعاني جرحًا بليغًا أصابه في إحدى معاركه بجوار حريملاء، ولم يمض وقت طويل حتى مات الإمام سعود

= استدعته للحضور إلى الأستانة بدعوى انعقاد مجلس الشورى وكونه واليًا فأجاب طلبها وذهب إلى هناك وفرضت عليه الإقامة الجبرية رغم تعيينه عضوًا في مجلس الشورى بمرتبة وزير حتى وافته المنية سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٥م، وقد أشيع أنه مات مسمومًا.

(٨٥) رسائل جاويد، مصدر سابق.

(٨٦) المصدر السابق.

في ١٨ ذو الحجة ١٢٩١هـ/ ٢٥ يناير ١٨٧٥م، فتسلم عبدالرحمن الإمامة، إذ ذكر أن محمد بن سعود بن فيصل قد أخبره أن والده قد أوصى قبل وفاته بأن يعهد بالحكم من بعده لأخيه عبدالرحمن(٨٧). جاء ذلك في رسالة بعث بها عبدالرحمن بن فيصل في ٢٢ صفر ١٢٩٢هـ/ ٦ إبريل ١٨٧٥م، إلى وكيل الأخبار في وكالة المقيمية السياسية البريطانية في البحرين وصفًا للأحداث التي تلت مقدمه إلى نجد(٨٨).

لم تسر الأمور وفق ما يريد الإمام عبدالرحمن، إذ ثار عليه أبناء أخيه سعود. وكان سعود قد خلف خمسة من الأبناء هم سعد ومحمد وعبدالله وعبدالعزيز وعبدالرحمن. وقد استقر رأيهم بعد وفاة والدهم أن يصالحوا عمهم عبدالله ويعترفوا بإمامته، لكنهم ما لبثوا أن انقلبوا عليه ومالوا إلى عمهم عبدالرحمن، وكان سبب ميلهم أن بعض علماء نجد وفقهائها كانوا غير راضين عن استعانة عبدالله بن فيصل بالعثمانيين وما جرته تلك الاستعانة من تبعات، مما جعل أهل الرياض يبايعون عبدالرحمن بن فيصل إمامًا، لاسيما وأن الإمام عبدالله بن فيصل وأخاه محمدًا كانا آنذاك في بادية عتيبة(٨٩).

(87) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 789/128, September 17, 1875.

(88) (IOR) (Abdul Rahman Paper) no. 655/84, Jun 25, 1875.

(89) Ibid.